

# ملاح من مشاركة المرأة السودانية في الإستقلال 1956م

مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر

د. إخلص مكاي محمد علي

## مستخلص:

تهدف هذه الورقة لإبراز دور المرأة السودانية في الإستقلال ولذلك كان لابد من التعرض لأوضاع وظروف السودان والمجتمع السوداني في فترات ما قبل الإستقلال في 1/1/1956م. أشارت الورقة إلي أن المصادر السابقة لم تحدثنا عن حركة المرأة ونشاطها في الحياة العامة إلا بعض المعلومات الشحيحة التي وردت في مصادر كتبت عن سلطنة سنار ووردت أسماء لبعض النساء في معلومات تخص الشيوخ والفقهاء والأولياء. أوردت الورقة نماذج لما قامت به بعض النساء وقد اشتهرن بذلك لأنهن برزن في مجال الفروسية والشجاعة وشعر الحماسة. تناولت الورقة إسهامات المرأة في الثورات الحديثة والعمل الوطني والنضال ضد الإستعمار وفي المقاومة التي شملت العمل الثقافي والتوعوي. تعرضت الورقة لتنظيمات نسائية بدأت منذ إرهاصات الإستقلال تمثلت في الجمعيات الطوعية والثقافية والتي ساندت حركات التحرر من الإستعمار بشتي الطرق كالعدم المادي والمعنوي. تناولت الورقة خطاب الإستقلال للوزراء والرؤساء منذ أول خطاب بإعلان الإستقلال وحتى الحكومات المتعاقبة والتي اتضح أنها لم تذكر مشاركة المرأة في الإستقلال. ختمت الورقة بالنتائج وبعض التوصيات.

## Features of the Sudanese participation in the independence of 1956 AD

Dr. Ekhals M. Muhammad Ali

### Abstract:

This paper aims to highlight the role of Sudanese women in independence, and therefore it was necessary to address the conditions and conditions of Sudan and Sudanese society in the pre-independence periods on 1/1/1956. Which were mentioned in sources written about the Sultanate of Sennar, and names of some women were mentioned in information related to sheikhs, jurists, and saints. The paper presented examples of what some women did, and they were famous for that

because they emerged in the field of chivalry, courage, and poetry of enthusiasm. The paper dealt with women's contributions to modern revolutions, patriotic action, and the struggle against Colonialism and in the resistance, which included cultural and educational work. The paper dealt with women's organizations that began since the precursors of independence. It was represented in the voluntary and cultural associations that supported the liberation movements from colonialism in various ways, such as material and moral support. The paper dealt with the independence speech of the ministers and presidents since the first speech announcing independence and even the successive governments, which did not mention the participation of women in the independence. The paper concluded with the results and some recommendations.

#### مقدمة:

لم تذكر المصادر دور ونشاط المرأة السودانية في الحياة العامة إلا قليلا، وما ورد في كتاب (الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والشعراء في السودان، لمحمد النور بن ضيف الله) لا يعدو أن يكون عابرا. والطبقات هو الكتاب الذي أرخ للحياة الدينية والثقافية والاجتماعية في سلطنة سنار في الفترة من 1504 - 1821م. وقد ورد إسم (29) امرأة في هذا الكتاب إلا أن مؤلفه لم يترجم لإحداهن رغم المكانة الدينية التي وصلت إليها بعضهن والأدوار التي لعبتها في الحياة العامة، فالمرأة زوجة الشيخ وابنته وأخته وأمه. واشتهر الشيوخ بذلك فرابعة بنت الشيخ صغيرون وست الدار بنت الشيخ عبد الرحمن حمدتو ووالدة الشيخ عبد الرحمن إسيد، وبرة بنت الشيخ الزين وهي أم مدني الحجر وأبوعاقلة هو حجر وكني بإبنته.

#### المرأة والمقاومة الوطنية:

بالنسبة لعدم تعرض المصادر لأخبار المرأة وأنشطتها فإن الطيب محمد الطيب<sup>(1)</sup> يري أن إخفاء المؤرخ أو الكاتب لإختيار النساء هو من باب الإعزاز، وما وصل من أخبارهن لأنهن كن من النابغات. ويبدو أن المذكرات من البارزات في المجتمع مما فرض ذكرهن، وربما كان هناك عدد من النساء ممن لعبن دورا في المجتمع ولكن لم يذكر ذلك الدور باعتباره أمراً عادياً في ذلك الزمن.

لقد برزت بعض النساء في أنشطة وأعمال واضحة (2) فالشيخة أمونة بت قдал تملك الأرض وتزرع القطن وتغزله النساء يشارك في ذلك، تلميذات وتلاميذها في خلاويها، وتحضر النساجين من الجبلين والمتمة لصناعة القماش وتوزع الكساء لتلاميذها وتلميذاتها.

كذلك عملت المرأة في مجال التجارة وخدمة الشيوخ فالفقيرة عائشة بت ولد قдал  
جلست للتدريس ولها مدرسة كُتاب وورد في الطبقات أن الشيخ خوجلي بدأ الكتاب عندها. أما  
الملكة كجبي فهي تمثل بقية من نفود المرأة السياسي في شمال السودان وكان قد تزوجها الشيخ  
إدريس بن الشيخ عبد الرحمن بن جابر أصرت علي زوجها أن تكون الخلوة والقراءة في بيتها مما  
جعل التلاميذ يرفضون وتفرقوا علي خلاوي أخري، فكانت النتيجة خراب الخلوة.  
في مجال تعليم البنات والأولاد يذكر الطبقات (4) الفقيرة أمونة بت عبود التي بدأت  
بتعلم أستها ثم القرى المجاورة، وجعلت للدارسين سكناً واستعانت بمعلمين من خارج المنطقة  
وشاعت سمعتها خارج السودان، وعرفها حجاج غربي أفريقيا إذ كانت خلاويها مأوي وملاذ لهم  
في رحلة الحج (5).

وفي مجال الفروسية والحرب قالت المرأة شعر الحماسة وامتدحت الشجاعة ، كما كانت  
مقاتلة ، فهذه شعبة المرغوباية تشجع الجيوش وتقاتل بجانب أهلها ، وكانت فارسة قبيلتها  
وزعيمة أهلها ، ورد إسماها في الطبقات عرضا عندما قالت تمدح أهلها :  
أولاد أب زمام البركبوا الأشفر  
الناس من هلاكيتهن بعيـد تنصر

وقالت:

فــــرتاك حافلن لاي سروجــــن دم

مومدحت الفارس الشجاع ولد أم بريق رغم أنه كان من أعدائها يقاتل  
ضد أهلها فاعجبت بشجاعته وهو يقاتل ممسكاً ببطنه يسند إمعائه وهو  
يستمر في القتال ويصيح وباروك يا يشهود ويا باروك يا شهود . فقالت له :

شــــهدن عليك شــــهدن عليك  
يا الولــــد المتل حب العروسي عينيك  
لا ييكــــك وجاهة ولا يكابــــر بيك  
يالفــــاح بطونك فوق جرايــــد إيديك

عرفت شعبة يشجاعتها وعدم خوفها ومهابتها للحكام ، فعندما أرسل إليها الملك عجيب  
جباة الضرائب ، رفضت أن تدفع وضربت نقارة الحرب وخاطبت الملك عجيب قائلة (6):

نقروها نقارة البركات

عرضوا ولاد كمال

جوها الدبس قتات

قول للمك عجيب ما عندي ليك آيات

بلا دق ود بقيقه الذكرى الكفات

لقد شهد السودان مقاومة الجيش التركي - المصري الذي غزا السودان في العام 1821م

فوجد مقاومة في معظم مدن السودان من القبائل ومن الأفراد (7)، تمرد الجهادية السود في كسلا عام 1864-1865م. ففي منطقة الشايقية بشمال السودان برزت مهيرة بت عبود أخت الفقيرة أمونة لتقف في وجه الغزو التركي - المصري في معركة كورتي عام 1821م وعرفت بشجاعته وشعرها الحماسي.

أما في فترة المهديّة رغم التحفظات التي كانت حول المرأة فقد ظهرت شجاعة رابحة الكناية وهي تطوي المسافات لإبلاغ الإمام المهدي بخبر تحرك حملة راشد بك أيمن التي تم التكنم عليها لمباغته المهدي وجيشه والقضاء عليه وعلي الثورة، فكانت رمزاً للشجاعة والتضحية والثورة والمشاركة الفعلية والحياة. لقد كان ذلك في بداية الثورة المسلحة.

أما فترة حصار الخرطوم في 1885م فقد أعدت الحاجة ست البنات بت سلمان (8) زاد المجاهد وهي في مدينة القطينة وحملته علي ظهور الجمال ووصلت الخرطوم ووزعت زاد المجاهد علي الجنود المحاصرين للخرطوم، وقاتلت جنبا إلي جنب مع الأنصار حتي وجدت مستشهدة وهي تحمل سيفها المضرج بدماء الأعداء، وسميت ست البنات أم سيف.

### **المرأة ودورها في العمل الوطني والثورات الحديثة:**

بعد أن غزا الجيش الإنجليزي - المصري السودان عام 1898م وكانت البلاد مئخثة بجراح معركة كرري التي سقط فيها عشرات الآلاف من الشهداء والجرحي، والأسري الذين تم ترحيلهم إلي زنجبار، خرجت النساء بعد إستباحة المدينة لثلاثة أيام خرجت لتفقد أرض المعركة لعل هناك جريح يسعف أو شهيد يوارى الثري.

خلال تلك الظروف القاسية لم تظهر مقاومة منظمة نسبة للوضع الذي تعيشه البلاد، ولكن كانت هناك بعض الإنتفاضات كثورة عبد القادر ود حبوب، وثورة أبو جميزة والسُحيني لكنها لم تكن مقاومة منظمة يمكن الإعتماد عليها في الحراك الشعبي الثوري.

لقد بدأت المقاومة المنظمة عام 1921م بتأسيس عدد من الجمعيات كان أولها جمعية الإتحاد السوداني والتي كانت تنتهج أسلوب السرية والسلمية في آن واحد، ثم تكونت جمعية اللواء الأبيض عام 1924م وكانت سافرة في مواجهة الإنجليز لم تكن المرأة عضواً في أي من الجمعيتين لكنها ساندت المناضلين والثوار بتأمين الإجتماعات السرية وتوزيع المنشورات والإحتفاظ بها وتأمينها، وجسدت العازة محمد عبد الله ود الدنقلاوي هذه المشاركة ولم تكن العازة في البداية قد فكرت في المشاركة الفعلية وروت (9) أن والدتها فاطمة محمد حسن صادفت مرور مظاهرة أمام منزلها وزغردت تحية للمتظاهرين مما جعل العازة تنضم للمظاهرات التي كانت تهتف بإسم زوجها علي عبد اللطيف. وكان موقف والده العازة جريئاً وواضحاً فهي قد عاشت سنوات من الثورة المهديّة و الضرر البريطاني.

بجانب مشاركة العازة في المظاهرات كانت مهمتها حفظ وثائق ومنشورات الثورة والإتصال

مع عبيد حاج الأمين<sup>(10)</sup> وبذلك كانت العازة أول امرأة سودانية تشارك في النشاط السياسي بالمعنى الحديث ، وقد شجعته وحفزتها والدتها فاطمة محمد الحسن . وعندما تم إعتقال وسجن علي عبد اللطيف في السودان ثم بعد ذلك تم تحويله إلى القاهرة في المستشفى العسكري ثم رُحِّل إلى مستشفى الأمراض العقلية بالعباسية ، قامت العازة بزيارته في المستشفى ومعها محمد حسين ربحان ولاحظا أن حالة علي طبيعية فكتبت العازة لوزير الحربية المصري بغرض السماح لزوجها بمغادرة المستشفى ليعيش مستقلا بنفسه وقالت لم نر من علي أفندي أي مرض كما يقولون سوي أنه يعتقد أنه في سجن وقد اختلف السجن في شيء قليل من سجن السودان . رفض الطلب علي أساس أن حالته الصحية لا تسمح . وهكذا لازمت المناضلة العازة زوجها المناضل الثائر حتي آخر أيامه.

لقد شهد عام 1938م ميلاد مؤتمر الخريجين ، ولم تكن المرأة عضوا فيه بسبب التقاليد . ومشاركة المرأة ومساندتها كانت بالتبرعات المالية والعينية وتنظيم الأسواق الخيرية التي يقيمها المؤتمر لصالح مال التعليم الأهلي ودعم وفود السفر للخارج من أجل الإستقلال.

في عام 1946م تم اتفاق بين رئيس الوزراء المصري صدقي باشا ووزير خارجية بريطانيا ايرنست بيفن وسمي هذا الإتفاق ببرتوكول صدقي بيفن . وبعد عودته من لندن أعلن صدقي باشا وفقا للبرتوكول أعلن للمصريين أنه جلب لهم السيادة علي السودان في المفاوضات مع بريطانيا (11) مما أثار غضب السودانيين وخرجوا للشوارع متظاهرين ضد البرتوكول واحتجاجاً علي تصريح صدقي باشا ولم ينجح البرتوكول وأبطله الإمام عبد الرحمن المهدي ورفضه الإستقاليون وتم إرسال وفد في قضية استقلال السودان إلي الأمم المتحدة لطرح قضية السودان ، وكانت هناك صعوبات مالية تقف أمام سفر الوفد. وفيما بعد تم تدبير الأمر وسافر الوفد وكان للمرأة مساهمة في ذلك لم يسلب عليها الضوء، ظهرت إمراة لها حس وطني وفني فألفت وأخرجت مسرحية بعنوان (سفر الوفد) وخصصت دخلها لصالح سفر الوفد (12) وبذلك أسهمت في دعم الحراك الوطني بالمساهمة المادية والمعنوية.

في عام 1948م كان نادي الخريجين يقوم بتنظيم الليالي السياسية في عدد من مدن البلاد. وكان أشهر تلك الليالي التي أقيمت في 13 نوفمبر 1948م بنادي الخريجين بأمر درمان، تحدث فيها حماد توفيق وعبد الرحمن حمزة سكرتير المؤتمر ، ومبارك زروق ، والطيب محمد خير وتحدثت خالدة زاهر الطالبة بمدرسة الطب، وقالت في كلمتها : لا عجب أن تشارك الفتاة مع الرجال في الجهاد في سبيل الحرية ، فذلك أمر طبيعي . وفي نهاية كلمتها هتفت يسقط الإستعمار ورددت الحشود معها الهتاف. وتم اعتقالها بعد المظاهرات مباشرة (13).

فيما بعد ظهرت التنظيمات النسائية ممثلة في رابطة الفتيات المثقفات بأمر درمان ، وجمعية ترقية المرأة عام 1914م التي كانت رئيستها السيدة رحمة عبد الله جاد الله (14) وكذلك الجمعيات الخيرية في عدة مدن . ثم ظهر تنظيم الإتحاد النسائي عام 1952م وساهمت

المرأة في كل تلك الجمعيات في التوعية ، وكان مدخل المرأة في هذه الأنشطة التعليم والعمل. لقد أعقب مؤتمر الخريجين قيام الأحزاب السياسية واشتدت الحركة الوطنية بتكوين الأحزاب السياسية ، لكن لم تكن المرأة عضواً في أي حزب عدا الجبهة المعادية للإستعمار أول تنظيم يضم في عضويته امرأة ثم الحزب الجمهوري ، ثم الإخوان المسلمين . ولكن تلك العضوية لم تكن علناً في الظاهر بل كانت في السر . ولذلك لم يكن للمرأة دور سياسي واضح في تلك الأحزاب<sup>(15)</sup>.

### المرأة في خطاب الإستقلال:

ألقي السيد إسماعيل الأزهري رئيس مجلس الوزراء في حفل رفع علم السودان بالقصر الجمهوري في الأول من يناير 1956م خطاب الإستقلال ، تحدث فيه عن وحدة الأمة وجهاد الشعب والعلاقة مع مصر. وعاهد الشعب في خطابه أن لا يربطه بأحلاف أو إتفاقيات و أن يعمل علي صيانة الإستقلال.<sup>(16)</sup>

وفي عام 1957م وفي نفس المناسبة خاطب السيد عبد الله بك خليل رئيس الوزراء متحدثاً عن مستوي المعيشة وفتح أبواب الثقافة ، والعمل والصحة ، والخدمة المدنية ، والقومية العربية. أعقب ذلك حكومة الفريق إبراهيم عبود العسكرية عام 1959م جاءت خطاباته عن ثورته وبرامجها. لقد تعاقبت الحكومات مدنية وعسكرية حتي الإنقاذ. لم يحدث أن ذكر أي من أولئك رؤساء مجلس الوزراء أو مجلس السيادة . لم يحدث أن ذكروا دور المرأة في الإستقلال أو مشاركتها في المقاومة الوطنية أو مساهمتها في النشاط الثوري . وفي ذلك إجحاف في حق المرأة مما يستدعي قيام المرأة بنشاط ثقافي مكثف من أجل توضيح أدوارها التاريخية للأجيال الحالية والقادمة خاصة أن الجيل الحالي أصبح علي درجة عالية من الوعي يدل علي ذلك ما تقوم به الكنداكات مع رصفائهن من الشباب.

### النتائج :

توصلت الورقة للنتائج الآتية:-

- ساهمت المرأة منذ التاريخ المبكر في كل الأنشطة الإجتماعية والثقافية في المجتمع السوداني.
- شاركت المرأة في كل مقاومة ضد الغزاة بما في ذلك الحروب والقتال.
- كانت المرأة سندا للرجل دائماً.
- اتضح أن المرأة لم تكن عضواً في أي تنظيم سياسي أو حزبي من التنظيمات التي تكونت ضد الإستعمار الإنجليزي.

- من خلال خطاب الإستقلال كان إهتمام الحكام ببرامج حكوماتهم ولم يكن هناك إشارة لما قامت به المرأة.
- عدم الإهتمام بالتوثيق لأنشطة المرأة أضع كثيرا من مشاركتها.
- وأخيراً توصي الورقة بتكوين جسم يعمل علي توثيق أنشطة المرأة في كل المجالات . وما يوجد الآن من محاولات لا بد من تجميعه تحت مظلة واحدة.

## الهوامش:

- (1) الطيب محمد الطيب : المسيد - ص 33
- (2) محمد النور بن ضيف الله: الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين في السودان، ص 69.
- (3) الطبقات، ص 188. ص 174.
- (4) إخلاص مكايي محمد علي: وضع المرأة في سلطنة الفونج ورقة قدمت لمؤتمر الحكم والإدارة في الدولة السنارية ، 2 - 4 أغسطس 2017م
- (5) الطيب محمد الطيب ، دوباى ، ص 76-77.
- (6) محمد عبد الرحيم : النداء في دفع الإفتراء ، أورد تفاصيل لأنواع مقاومة سودانية للفرد.
- (7) د.و.ق: مجموعة غير مصنفة.
- (8) يوشيكو كوريتا: علي عبد اللطيف وثورة 1924م، ص 79.
- (9) المصدر نفسه، ص 99.
- (10) أحمد المهدي: الإمام عبد الرحمن المهدي ، رؤية جديدة للحركة الوطنية السودانية ، ص 80.
- (11) لم تحصل الباحثة علي تفاصيل عن مؤلفة المسرحية فاطمة محمد عبد الله بسبب إضراب العاملين بدار الوثائق القومية عن العمل.
- (12) صحيفة الرأي العام ، مارس 1956م عدد خاص عن الإستقلال.
- (13) نفيسة أحمد الأمين: ملاحم من الحركة النسائية في نصف قرن ، وكذلك أحمد المهدي ، ص 209.